Qur'anic Perspective of Consciousness: Reason, Revelation, Faithful State

■ Assist. Dr. Sajjad Hadi al-Anbaki[1]

Abstract

This research aims at explore the conceptual framework of consciousness formation from the perspective of the Qur'an. It examines the interrelated foundations of reason, revelation, and the faith-based state, proposing a deeper understanding of consciousness, one that transcends superficial interpretations and instead envisions it as a profound cognitive state that liberates the individual from blind imitation and dependency. The research investigates the dynamic relationship between reason, as a tool for reflection and analysis, and revelation, as a source of guidance and knowledge. It asks whether these two foundations diverge or intersect, and to what extent they are in harmony and epistemological complementarity, with revelation ensuring the integrity and direction of reason.
Furthermore, the research highlights the pivotal role of the faithful state as a civilizational system grounded in justice and human rights. It explores how just governance within such a state serves as a fundamental safeguard for consciousness, protecting it from manipulation and distortion often perpetuated by modern systems of Western control.
Finally, the study offers a critical comparison between the Qur'anic vision of the formation and preservation of consciousness and contemporary methodologies, which frequently rely on propaganda and media-driven techniques that construct a false or manipulated consciousness.

Keywords: Qur'anic Perspective, Shaping Consciousness, Reason, Revelation, Faithful State.

1 - Lecturer at Kufa University - College of Jurisprudence.

الرؤية القرآنيَّة لصناعة الوعي: العقل، الوحي، الدولة الإيمانيَّة

■ م.د سجاد هادي العنبكي[1]

ملخّص

تسعى هذه الدراسة إلى بيان البناء المفهومي لتشكّل الوعي في منظور النصّ القرآنيّ، وبيان العلاقة الترابطيَّة بين الأسس الثلاثة: العقل، والوحي، والدولة الإيمانيَّة. محاولة تخطي الفهم السطحيّ للوعي، بل تجعله حالة إدراكيَّة عميقة، تحرّر الإنسان من التبعيَّة والتقليد الأعمى.

ثم تبيّن العلاقة بين العقل بوصفه أداةً للتحليل والتدبّر، وبين الوحي بصفته أساسًا للهداية ومنبعًا للمعرفة الهادية، وهل هناك مواطن يختلفان فيما بينهما، أو يتقاطعان؟ أو أنّهما في انسجام وتكامل معرفيّ، يضمن فيهما الثاني استقامة الأول.

محاولة بيان الأثر المحوريّ للدولة الإيمانيَّة، بوصفها منظومة حضاريَّة تعمل بمبدأ العدل، وحقوق الإنسان، ثمّ تبيّن كيف يكون الحكم الرشيد، في تلك الدولة، ضامنًا أساسًا في صيانة الوعي وحفظه من أساليب الخداع والتزييف، التي تعمل على صناعتها أنظمة السيطرة الغربيَّة المعاصرة.

لتقدّم بعد ذلك مقارنة نقديَّة بين الرؤية القرآنيَّة لتشكّل الوعي وحفظه، وبين المنهجيّات المعاصرة، التي غالبًا ما تقدّم تقنيّات التضليل، والدعايات الإعلاميَّة لصناعة وعي مزيّف.

الكلمات المفتاحية: الرؤية القرآنيَّة، صناعة الوعي، العقل، الوحي، الدولة الإيمانيَّة.

1 - أستاذ في جامعة الكوفة- كليَّة الفقه.

مقدّمة:

تشـكّل قضيَّة وعي الإنسان في البنية القرآنيَّة محورًا أساسًا وأصيلاً في المشروع القرآني لبناء الفرد والمجتمع، ولا يقف القرآن الكريم عند دعوة الإنسـان أنْ يدرك الحقائق، وأنْ يُعمل فكرَه فقط، بل يذهب لتأسيس نظام معرفيّ وخُلُقيّ متكامل، تتشارك فيه مَهامّ العقل ووظائف الوحي؛ لصناعة وعي حرّ ورشيد، مؤمَّن من الانحرافات الفكريَّة والسلوكيَّة.

وفي ظلّ التحدّيات المعاصرة للهيمنة الإعلاميَّة والخطاب المضلل، يظهر الأنموذج القرآنيّ المؤسِّـس لمشروع يتكامل فيه العقل بمدركاته وتحليلاته، والوحي بمنظومته الهدايتيَّة الكاشفة للحقائق، لا على نحو المُلغي لوظيفة العقل، بل على نحو التكامل والإرشاد والتصويب.

ثمّ إنّ هذا الوعي بحاجة للاسـتمرار والديمومة؛ ليعطي أُكله. من هنا، تأتي المَهمَّة المحوريَّة للدولـة الإيمانيَّة المبنيَّة على الرؤية القرآنيَّة بوصفها الإطار المرجعيّ المؤسّـسي لحفظ الوعي وصيانته، عن طريق ترسـيخ القِيَم الكـبرى، كإقامة العدل، وتفعيل دور المؤسّسـات التعليميَّة والإعلاميَّة المنضبطة، وتحقيق الرؤية المعرفيَّة الواعية، دون السقوط في مصائد الهيمنة الفكريَّة، أو الاسـتلاب الثقافيّ، فتكون -الدولة الإيمانيَّة- مشتغلة على الحريَّة الفكريَّة للعقل، وفق إطار قِيَمي إيمانيّ ضابط.

وتـبرز مشـكلة البحث، من خلال ما يواجهه الإنسـان في العصر الراهن، مـن تحدٍّ وجوديّ يتجسّد في سيادة (الوعي المزيّف) لأنظمة السـيطرة العالميَّة؛ لتحويل الإنسان المسلم من فرد فاعل ومنتـج للمعرفة والوعي، إلى كائن مُسـتهلِك، يخضع للوعي المصـدّر إليه، وفق آليّات تضليل ممنهجة، تهدف إلى تقويض البناء المجتمعي والخُلُقيّ.

وتتمثّل أهمّيَّة البحث، بمحاولته تقديم الرؤية القرآنيَّة المتكاملة لصناعة الوعي، وعدم الاكتفاء

بعرض التحدّي القائم على التجهيل الممنهج في زمن ضياع البوصلة الفكريَّة، وكذا يهدف لربط العقل بالوحي، محكومين بإطار اجتماعيّ وسياسيّ ممثَّلاً بالدولة الإيمانيَّة، بحكمها الرشيد، والحامية لهذا الوعي ونمائه.

ويحاول البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما مفهوم الوعي في الرؤية القرآنيَّة، وبمَ يختلف عن مفهومه في الفكر المعاصر؟
- كيف يكون التكامل بين العقل والوحي لبناء وعي حرّ ومنضبط وفق المنظور القرآنيّ؟
- ما دور الدولة الإيمانيَّة وحكمها الرشيد في حماية الوعي وصيانته؟
- ما الفرق بين منهجيَّة القرآن الكريم في صناعة الوعي، ومنهجيّات الأنظمة المعاصرة؟

وسوف أستخدم المنهج التحليليّ، لتتبّع المفاهيم المتعلّقة بالوعي ومقارباته، والعقل، والوحي. وكذا المنهج المُقارِن؛ لعقد الموازنات بيت الرؤية القرآنيَّة للوعي، وأنظمة السيطرة المعاصرة. ولا يدّعي الباحث الإلمام بالموضوع بجميع جوانبه، فهو أوسع من أن يُحاط به في هذا البحث المختصر.

أولًا: المفاهيم المؤسِّسة للبحث:

١. الوعي:

عند تتبّع المعاجم اللغويَّة، نجد أنْ الجذر (و ع ى) حيل إلى دلالات عميقة، قد تتجاوز (الحفظ)، وإنْ أشار بعض الأعلام إليه[١]، وقال: وعى الحديثَ يعيه وَعْيًا إذا حفظه، الوَعْي: حفظ الْقلب للشَّيْء[٢]، ويبينّ (ابن منظور) (ت:٧١١هـ) هذه المعاني ومرادفاتها بتفصيل أكثر، فيقول: «الوعي: حفظ القلب الشيء. وعى الشيء، والحديث يعيه وعيًا، وأوعاه: حفظه وفهمه وقبله، فهو واعٍ، وفلان أوعى من فلان، أي أحفظ وأفهم. وفي الحديث: نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، فربّ مبلِّغ أوعى من سامع... الواعي: الحافظ الكيّس الفقيه. وفي حديث (أبي

١ - ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج٢، ص٢٧٣.
٢ - ينظر: محمد بن الأزهري: تهذيب اللغة، ج٣، ص١٦٦.

أمامة): لا يُعذِّب الله قلبًا وعى القرآن... أي عقله، إيمانًا به وعملاً، فأمّا من حفظ ألفاظه، وضيّع حدوده، فإنّه غير واعٍ له»[١].

ويميّز (الكفوي) (ت: ١٠٩٤هـ) بين الحفظ والوعاية، فيقول: «الوعي: هُوَ أَن تحفظ فِي نَفسك الشَّيْء... والوعاية: أبلغ من الْحِفْظ؛ لِأَنَّهُ يخْتَص بالباطن، وَالْحِفْظ يسْتَعْمل فِي حفظ الظَّاهِر»[٢].

من هنا، يتّضح أنّ دلالة (الوعي) تتجاوز الحفظ المجرّد، أو الاستظهار الآليّ للمعلومات، بل هو عمليَّة قلبيَّة وعقليَّة تضمّ الحفظ النفسي والفهم للشيء، ولأنه يرتبط بالباطن والإدراك القلبيّ يجعله أكثر ثباتًا وتأثيرًا، ولعلّ هذه الدلالات تنسجم تمامًا مع الرؤية القرآنيَّة للوعي، الدالّة على حالة من الفقه والفهم والنظر، ما يدلّ على أنّه ليس عمليَّة تلقينيَّة، بل هو منهج تربويّ للعقل والقلب، ما يجعله عارفًا بمسؤليّاته.

فقد قدّم المفسِّرون رؤية تبيّن الفكرة الأساس، وفي قوله تعالى: ﴿...وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]: إنها "أذن سمعت وعقلت ما سمعت وأوعت"[٣]" وكذلك " تحفظ ما سَمِعَتْ وَتَعْمَل به، أي ليحفظ السامع ما سمع ويعمل به"[٤]، وكذا هو وصف للقلب، فيُقال: «وعي قلبه العلم يعيه وعيًا، وقال الشاعر إذا لم تكن واعيًا حافظًا * فجمعك للكتب لا ينفع، فمعنى (واعية): ممسكة ما يحصل فيها. وقال (ابن عباس): حافظة. وقيل قابلة سامعة"[٥]، والأذن الموصوفة بأنها واعية «من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه»[٦]. وكذا تدلّ على الثبات والاستقرار في النفس؛ لتؤدّي ما وعت كما سمعت[٧].

من هنا، نلحظ أنّ النص القرآني أكسب مفهوم الوعي دلالات أعمق مما هي عليه في مفهومه

١ - محمد بن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص٣٩٥.
٢ - أيوب بن موسى الكفوي: الكليات، ص٩٤٤.
٣ - عبد الرزاق الصنعاني: تفسير القرآن، ص٣، ص٣١٣.
٤ - إبراهيم الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج٥، ص٢١٥.
٥ - محمد بن الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ج١٠، ص٩٨.
٦ - ناصر الدين البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ج٥، ص٢٤٠.
٧ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج١٩، ص٣٩٤.

واستعماله المعجميّ، ونستطيع تلخيص ذلك بالآتي:

أ. إن الوعي هو عمليَّة عقليَّة وقلبيَّة متكاملة.

ب. تجاوز الوعي لمعنى (الحفظ)، ليدلّ على العمل والسلوك، لا استيعاب المعلومة وحفظها فقط، بل تمثّلها في الواقع وترجمتها عملاً.

ج. يمكن أنْ يتّصف القلب بالوعي، فيُقال: وعى قلبُه العلمَ.

د. يدلّ الوعي على الثبات والاستقرار للمعلومة، ما يُمكّن الإنسان من تطبيقها دون زيادة أو نقصان.

٢. العقل:

يُطلق العقل في اللغة ويراد به نقيض الجَهْل[١]، ويرى (ابن فارس) (ت: ٣٩٥ هـ) أن: « الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عُظْمُهُ عَلَى حُبْسَةٍ فِي الشَّيْءِ أَوْ مَا يُقَارِبُ الْحُبْسَةَ. مِنْ ذَلِكَ الْعَقْلِ، وَهُوَ الْحَابِسُ عَنْ ذَمِيمِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ[٢]، ويرى (الأصفهانيّ) (ت: ٥٠٢هـ) أنّ: «أصل العقل الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطن، وعقلت المرأة شعرها، وعقل لسانه: كفّه، ومنه قيل للحصن: معقل، وجمعه معاقل»[٣]. وتتمحور الدلالة اللغويَّة للعقل على ما يحبس أو يمنع الإنسان من المهالك أو الشرور، بالقول أو الفعل.

أما في الاصطلاح، فقد أورد (الشيخ الطوسي) (ت: ٤٦٠هـ) معاني العقل بقوله: «العقل هو العلم الأول الذي يزجر عن قبيح الفعل، وكل من كان زاجره أقوى، كان عقله أقوى، وقيل: العقل: معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة، وقيل: العقل: قوة يمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغائب»[٤].

ويرى (السيد الطباطبائي) (ت: ١٤٠٢هـ): «إن المراد بالعقل في كلامه -تعالى- هو الإدراك

---

١ - الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج١، ص٥٩.

٢ - أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٤، ص٦٩.

٣ - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٣٤٢.

٤ - محمد بن الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ج١٠، ص٢٠٠-٢٠١.

الذي يتمّ للإنسان مع سلامة فطرته»[1]، ويقسِّم العقل إلى "العقل النظري الحاكم بالضرورة والإمكان، والعقل العملي الحاكم بالحسن والقبح المعتمد على المصالح والمفاسد"[2].

ويلخّص (محمد مصطفوي) معاني العقل بإرجاعه إلى أصل واحد، يدلّ على «تشخيص الصلاح والفساد في جريان الحياة ماديًّا أو معنويًّا، ومن لوازمه الإمساك، والتدبّر، وحسن الفهم، والإدراك والانزجار، ومعرفة ما يُحتاج إليه في الحياة، والتحصّن تحت برنامج العدل والحقّ... وهو أقوى وسيلة في تحصيل السعادة والوصول إلى الكمال، ولا ينفع في فقدانه عبادة، ولا زهد، ولا رياضة، ولا أيّ عمل واقع»[3].

ثمّ إنّ الناظر في آيات القرآن الكريم يجدها استعملت مفردات مقاربة، أو دالّة على العقل، كالقلب، واللبّ، والفؤاد، والنُهَى، والفكر، والفهم...إلخ، وهي -وإن فرّق بينها العرب بفوارق دقيقة- متقاربة، ويبيّن تلك الألفاظ وفوارقها (أبو هلال العسكري)[4] (ت:٣٩٥هـ)؛ إذ يرى أنّ:

- الفرق بَين الْعلم وَالْعقل: إن الْعقل هُوَ الْعلم الأول الَّذِي يزْجر عَن القبائح، وكل من كَانَ زاجره أقوى كَانَ أَعقل، وَقَالَ بَعضهم الْعقل يمْنَع صَاحبه عَن الوقوع فِي الْقَبِيح، وَقَالَ بَعضهم الْعقل الْحِفْظ. وَقيل: الْعقل يُفِيد معنى الْحصْر وَالْحَبْس، وعقل الصَّبِي إِذا وجد لَهُ من المعارف مَا يُفَارق بِهِ حُدُود الصّبيان، وَسمّيت المعارف الَّتِي تحصر معلوماته عقلاً؛ لأنها أَوَائِل الْعُلُوم، وَخلاف الْعقل الْحمق، وَخلاف الْعلم الْجَهْل.
- الفرق بَين الْعقل والإرب: إن قَوْلنَا الإرب يُفِيد وفور الْعقل.
- الفرق بَين الْعقل واللب: إنّ قَوْلنَا اللبّ، يُفِيد أَنّه من خَالص صِفَات الْمَوْصُوف بِهِ، وَالْعقل يُفِيد أَنّه يحصر مَعْلُومَات الْمَوْصُوف بِهِ، فَهُوَ مفارق لَهُ من هَذَا الوجه. ولباب الشَّيْء ولبّه خالصه، وَلمّا لم يجز أَنْ يُوصَف الله -تَعَالَى- بمعان بَعْضهَا أخْلص من بعض، لم يجز أَنْ يُوصَف باللبّ.

---

١ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج٢، ص٢٥٠.
٢ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج٨، ص٥٥.
٣ - ينظر: محمد مصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن: ج٨، ص١٣٨- ٢٣٩.
٤ - أبو هلال العسكري: الفروق اللغويَّة: ج١، ص٨٣-٨٥.

- الفـرق بين العقل وَالنَّهْي: إنّ النهي هُوَ النِّهَايَّة فِي المعـارف، الَّتِي لَا يحْتَاج إِلَيْهَا فِي مُفَارقَة الْأَطْفَال، وَمن يجْرِي مجراهم.
- الفرق بَين الْعقل والحِجا: إنّ الحجا هُـوَ ثبات الْعقل، من قَوْلهم تحجى بِالْمَكَانِ إِذا أَقَامَ بِهِ.
- الفرق بَين الْعقل والذهن: إنّ الذِّهْن هُوَ نقيض سوء الفَهم، وَهُوَ عبارَة عَن وجود الحِفْظ لما يتعلّمه الإِنسَان، وَلَا يُوصّف الله بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُوصف بالتعلّم.

وهذا ما صرّح به المفسرون كـ (الشـيخ الطوسي) في تفسـير قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الرعد: ١٩]؛ إذ يقول: "معناه إنّما يتذكّر في ذلك، ويفكّر فيه، ويستدلّ به ذوو العقول والمعرفة. والألباب هي العقـول، واحدها لبّ ولبّ الشيء أجلّ ما فيه، وأخلصه وأجوده، فلبّ الإنسـان عقله؛ لأنه أجلّ ما فيه"[١]، فجعل اللبّ مرادفًا، أو بمعنى العقل، ومثله في قوله تعالى: ﴿**لِمَـنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾ [ق: ٣٧]؛ حيث يقول: "قيل معنى القلـب - ههنا - العقل من قولهم أين ذهب قلبك، وفلان ذاهب القلب، وفلان قلبه معه، وإنما قال (لمن كان له قلب)؛ لأن من لا يعيي الذكر لا يعتد بماله من القلب"[٢]، فجعل القلب بمعنى العقل.

ويقول (الشيخ الطبرسي) (ت:٥٤٨هـ): إنّ العقل والفهم والمعرفة واللبّ نظائر، ورجل عاقل فهم: لبيب ذو معرفة، وإنّ ضدّ العقل الحمق، وقد قيل لابن عباس أنىّ لك هذا العلم، قال: قلب عقول ولسان سؤول... ثمّ ينقل عن علي بن عيسى قوله: إن العقل هو العلم الذي يزجر عن قبيح الفعل، ومن كان زاجره أقوى فهو أعقل. وقيل: العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسـن في الجملة. وقيل: هو التمييز الذي له فارق الإنسـان جميع الحيـوان، وهذه العبارات قريبة معاني بعضها من بعض، ثم يفرّق الشـيخ بين العقل والعلم، فيقول: إن العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم، ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ**

١ - محمد بن الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٢٤٢.
٢ - محمد بن الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص٣٧٤.
٣ - ينظر: الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان: ج١، ص٢١٤-٢١٥.

﴿بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الفاتحة: ٤٦]، يقول (السيد الطباطبائي): « ثم لما كان المعنيان جميعا ـ التعقل والسمع ـ في الحقيقة من شأن القلب، أي النفس المدركة، فهو الذي يبعث الإنسان إلى متابعة ما يعقله أو سمعه من ناصح مشفق. لذلك عُدّ إدراك القلب، رؤية له ومشاهدة منه، وعدّ من لا يعقل ولا يسمع أعمى القلب، ثمّ بولغ فيه بأنّ حقيقة العمى هي عمى القلب دون عمى العين؛ لأن الذي يعمى بصره يمكنه أن يتدارك بعض منافعه الفائتة بعصا يتخذها، أو بهاد يأخذه بيده، وأما القلب فلا بدل له يتسلّى به»[1].

من هنا، يتّضح أنّ للعقل عدّة معانٍ مترادفة أو متقاربة، منه قد استعملها العرب، والقرآن الكريم -بوصفه نزل بلسان عربي مبين- حينما يراد فهم معنى العقل فيه، لا يُقتصر على لفظه فقط، بل بضميمة تلك الألفاظ لمعرفة وظائف العقل، وحدوده في القرآن الكريم.

٣. الوحي:

يُقَال: وحيْتُ إِلَى فلَان، إِذا أشرتَ إِلَيْهِ وأومأْتَ، وقيل: (وَحَى لَهَا القرارَ فاستقرَّت) أَي: وَحَى اللَّـهُ الأرضَ بِأَن تَقرّ قرارًا فَلَا تميدُ بِأَهْلِهَا، أَي أَشَارَ إِلَيْهَا بذلك. وقيلَ: وَيكون وَحَى لَهَا القرارَ أَي كتب لَهَا القَرار، وَقَالَ بَعضهم أَي أَمَرها. وأَوْحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ أَن يكلّمهُ بِكَلَام يُخفيه من غَيره.

وَقَالَ (الفرّاء) (ت: ٢٠٧هـ) فِي قَوْله تَعَالَى ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ [مَرْيَم: ١١] أَشَارَ إِلَيْهِم. قَالَ: والعربُ تَقول: أَوْحى وَوَحى، وأَوْمى ووَمَى بِمَ»عْنى وَاحِد، وَوَحى يحِي وَوَمى يمي. وَقَالَ جلّ وعزّ ﴿كَانُواْ يَحْذَرونَ وَأَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليم﴾ [القَصَص: ٧] قيل: إِن الْوَحْي هَهُنَا إِلْقَاءُ اللَّه فِي قَلبهَا[2].

ويلخّص (ابن فارس) معاني الوحي بقوله: «الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِلْقَاءِ عِلْمٍ فِي إِخْفَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ إِلَى غَيْرِكَ. فَالْوَحْيُ: الْإِشَارَةُ. وَالْوَحْيُ: الْكِتَابُ وَالرِّسَالَةُ... وَالْوَحِيُّ: السَّرِيعُ: وَالْوَحَى: الصَّوْتُ»[3].

---

١ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج١٤، ص٣٨٩.
٢ - ينظر: محمد بن الأزهري: تهذيب اللغة، ج٥، ص١٩٢.
٣ - أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٦، ص٩٣.

ومثلــه ما بيّنه (الراغب)، من أصل (الوحي) هو الإشــارة السّريعة، ولتضمّن السّرعة قيل: أمر وَحْيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرّمز والتّعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التّركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة[1].

ومــن خلال اســتقراء دلالات الوحي في المعاجم، يظهر أنّ هذا المفهــوم يدلّ على (الإلقاء الخفي السريع)، ســواء تمثّل في الإشــارة أم الرمز، أم تَجَسّــد في الكتابة أم الإلهام. لكنَّ السمة الأساس في هذا اللفظ تضمّ ركني: (الخفاء والسرعة)، ما يجعله أوسع دلالة من مجرّد التواصل اللفظي، ليدلّ على وســيلة متميّزة في الإعلام، الذي يوصل المعنــى إلى الآخرين بصورة دقيقة ومغايرة لما هو معهود. لذا، كان المصطلح في الاستعمال القرآني حاملاً لأبعاد أعمق، متجاوزة لحدود الإشارة اللغويَّة، إلى أفق الهداية والتشريع الإلهي.

أما في الاصطلاح، فيبيّن (الشيخ الطوسي) (ت: ٤٦٠هـ) معانيه بقوله: «(الوحي) على وجوه في كلام العرب: منها وحي النبوة، ومنها الإلهام، ومنها الإشــارة، ومنها الكتاب، ومنها الإسرار: فالوحــي في النبوّة ما يوحي اللــه إلى الأنبياء، كقوله ﴿**إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِــلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ**﴾ [الشورى: ٥١]، والوحي بمعنى الالهام، قوله ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ [النحل: ٦٨] ... ووحي الإشــارة كقوله ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا**﴾ [مريم: ١١]، قال مجاهد: أشار إليهم، وقال الضحّاك: كتب لهم، وأصل الوحي عند العرب، هو إلقاء الانسان إلى صاحبه ثيابًا للاستتار والإخفاء»[2].

وبعد أنْ يتتبع (الشيخ ناصر مكارم الشيرازي) الوحي في القرآن، يستخلص الآتي: « من خلال هذه الاستخدامات المختلفة للوحي ومشــتقّاته، نستنتج أنّ الوحي الإلهي على نوعين: (وحي تشريعيّ) و(وحي تكوينيّ).

فالوحــي التشريعي هو مــا كان ينزل على الأنبيــاء ﷺ، ويمثّل العلاقة الخاصــة بينهم وبين الخالق؛ حيث كانوا يستلمون الأوامر الإلهيَّة والحقائق عن هذا الطريق.

---

١ - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٨٥٨.

٢ - محمد بن الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٤٠٣.

أما الوحي التكوينيّ، فهو، في الحقيقة، وجود الغرائز والقابليات والشروط والقوانين التكوينيَّة الخاصّة التي أوجدها الخالق في أعماق جميع الكائنات في هذا العالم"[1]، وفي كلّ من النوعين، آيات قرآنيَّة تدلّ على ذلك المعنى.

معاني الوحي في القرآن الكريم:

أما معاني الوحي في القرآن الكريم، فقد لخّصتها الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام، حينما سألوه عن لفظ الوحي في كتاب الله -تعالى-، فقال[2]:

منه وحي النبوّة، ومنه وحي الإلهام، ومنه وحي الإشارة، ومنه وحي أمر، ومنه وحي كذب، ومنه وحي تقدير، [ومنه وحي خبر]، ومنه وحي الرسالة.

ثم فصّل كلّ نوع مستشهدًا بالآية قرآنيَّة، فقال عليه السلام:

١. فأما تفسير وحي النبوة والرسالة، فهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...**﴾ [النساء: ١٦٣].

٢. وأما وحي الالهام، فقوله عزّ وجلّ: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ [النحل: ٦٨]

٣. وأما وحي الإشارة، فقوله عزّ وجلّ: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم: ١١]، أي أشار إليهم؛ لقوله تعالى: ﴿**أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا**﴾ [آل عمران: ٤١] .

وأما وحي التقدير، فقوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**﴾ [فصلت: ١٢]

وأما وحي الأمر، فقوله سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي**﴾ [المائدة: ١١١].

وأما وحي الكذب، فقوله عزّ وجلّ: ﴿**شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ...**﴾ [الأنعام: ١١٢].

---

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ج١٥، ص٥٨٥.

٢ - ينظر: محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٩٠، ج١٦-١٧.

وأما وحي الخبر، فقوله سبحانه: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾ [الأنبياء: ٧٣].

ثانيًا: وظائف العقل في القرآن الكريم:

يعدّ العقل في المنظور القرآنيّ منشأ للتكليف وأساسًا للمسؤوليَّة، وكان الخطاب القرآني موجّهًا إياه نحو فطرته السليمة. ولم يختزل القرآن الكريم مفهوم العقل في الاستعمال الفلسفيّ المجرّد، بل يظهر قصده عبر مجموعة من المصطلحات التي تشير إلى عمليّات معرفيَّة متكاملة، كالقلب، والنُهى، والفؤاد، واللبّ...إلخ، وتلك الاستعمالات تدلّ على رؤية شاملة ومتكاملة للعقل، وعدم اختزاله ببُعد واحد. وفيما يأتي بيان لأهمّ الوظائف التي أُعطيت للعقل في لقرآن الكريم:

١. التمييز الإدراكيّ الحسّيّ:

من الوظائف الأساس التي تمُكّن الإنسان من فهم واعٍ لما يحيط به في عالمه المادّيّ، وأداة للتمييز بين الخير والشرّ، والحقّ والباطل، لما يؤدّيه من وظيفة تأمّليَّة في آيات الله الكونيَّة، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الروم: ٢٨]، فبعد إن ذكر الله -تعالى- بعض النعم المادّيَّة المحيطة بالإنسان، "يؤكّد أنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون، ويفهمون أنّ وراء هذه الخطّة المدروسة يدًا قادرة تقودها وتهديها، ولا يمكن أن تكون المسألة وليدة الصدفة والضرورة العمياء الصمَّاء أبدًا"[1].

ويُعطي القرآن الكريم للعقل وظيفة تكامليَّة للحواسّ بوصفها الرافد المعرفيّ له، ويبرز تكامل العقل مع الحواسّ في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [النحل: ٧٨]؛ حيث تبيّن الآية أنّ

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ج١٢، ص٤٠٥.

المعرفة تبدأ من الصفر حين الولادة، ثم تُبنى عن طريق الأدوات الحسيَّة (السمع والبصر)، ومن أداة عقليَّـة هي(الأفئدة). وهذا التمييز الإدراكيّ الحسّيّ الذي يمهّد مسـار العقل. «ولا يبعد أن يكون المراد بالسمع والبصر مطلق الحواسّ الظاهرة من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، وبالفؤاد وهو النفس المتفكّرة يمتاز من سائر الحيوان.»[1].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا**﴾ [الإسراء: ٣٦]، يُبيّن القرآن أن الحواس ليست منافذ للحسّ فقط، بل هي المسؤولة؛ لأنّها تمُدّ العقل بالموادّ التي يبني بها أحكامه، وينقي المدركات ويعيد تركيبها، فيفهم المقاصد، ويـؤول الظواهر الناتجة عن تلـك الحواس، فالعقل يكون كالضابط لتلـك الحواس، فحُمّلت مسؤوليَّة السؤال يوم القيامة؛ لما تمثّله من عمليَّة محوريَّة وركيزة أساس في هداية الفرد أو ضلاله؛ لأنّها نعمة من الله -تعالى- ينبغي أن يؤدّى حقّها.

ثـمّ إنّ القـرآن الكريم يحذّر من تعطيـل وظائف تمييز الإدراك الحـسّيّ، فالحواسّ لا تكفي وحدها، بل يجب أن تُفعل عن طريق العقل في سـياق الهداية، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وفي قولـه تعالى: ﴿**لَهُمْ قُلُـوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُـمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَـا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾ [الأعراف: ١٧٩]، يؤكّد (الشيخ مكارم الشيرازي): أنّ معنـى (القلب) في القرآن الكريم هو العقل، فيقول: "قد قلنـا مرارًا: إن التعبير بـ(القلب) في مصطلح القرآن يعني الفكر والروح وقوة العقل، أي أنهم بالرغم مما لديهم من استعداد للتفكير، وأنهم ليسوا كالبهائم فاقدي الشعور والإدراك؛ لأن البهائم والأنعام لا تملك هذه الاستعدادات والإمكانات، إلا أنهم بما لديهم من عقل سالم وعين باصرة وأذن سامعة، بإمكانهم أن يبلغوا كل مراتب الرقي والتكامل"[2].

ويقول (الطاهر بن عاشـور) في قوله تعـالى: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُـمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ**

---

١ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج١٩، ص٣٦٣.

٢ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ج٥، ص٣٠١-٣٠٢.

بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]: إنّ "تَقْدِيمُ الْأَفْئِدَةِ عَلَى الْأَبْصَارِ؛ لِأَنَّ الْأَفْئِدَةَ بِمَعْنَى الْعُقُولِ، وَهِيَ مَحَلُّ الدَّوَاعِي وَالصَّوَارِفِ، فَإِذَا لَاحَ لِلْقَلْبِ بَارِقُ الِاسْتِدْلَالِ وَجَّهَ الْحَوَاسَّ إِلَى الْأَشْيَاءِ وَتَأَمَّلَ مِنْهَا. وَالظَّاهِرُ أَنَّ وَجْهَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَفْئِدَةِ وَالْأَبْصَارِ وَعَدَمِ الِاسْتِغْنَاءِ بِالْأَفْئِدَةِ عَنِ الْأَبْصَارِ لِأَنَّ الْأَفْئِدَةَ تَخْتَصُّ بِإِدْرَاكِ الْآيَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الْمَحْضَةِ"[1]، فهو يرى أن الأفئدة بمعنى العقول، ومنها تنطلق الإرادة في توجيه الحواسّ نحو النظر والتأمل، كما لا يُستغنى بالأفئدة وحدها عن الأبصار، فلكلّ منهما وظيفة تؤدّيها: فالأولى تختصّ بإدراك البراهين والآيات العقليَّة المحضة، والثانية تختصّ بإدراك الموجودات المحسوسة. وبهذا، جاء تعبير القرآن الكريم ليُظهر التكامل بين أدوات الإدراك (العقل والحسّ) للحصول على الهداية.

٢. التفكر والتدبر:

يعطي القرآن الكريم للعقل وظيفة محوريَّة وهي (التفكّر والتدبّر)، وبها تتجاوز هذه الوظيفة الفهم السطحيّ إلى التعمّق في إدراك المعاني والغايات، وكذلك الربط بين الأسباب والمسبَّبات، والتفكّر في عواقب الأشياء، ومعرفة النتائج، ما يستدعي تفعيل النظر بعمليَّة تأمّليَّة عميقة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقد روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله: "قال الحسن بن علي عليهما السلام: إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها، قيل يا ابن رسول الله ومن أهلها؟ قال: الذين قصّ الله في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿**إنما يتذكر أولو الألباب**﴾ قال: هم أولو العقول"[2]، يقول صاحب تفسير الأمثل: إنّ "آيات القرآن الكريم ليست للقراءة والتلاوة فقط، بل نزلت لكي يفهم الناس مقاصدها ويدركوا معانيها، وما التلاوة والقراءة إلا مقدمة لتحقيق هذا الهدف، أي التفكّر والتدبّر والفهم"[3].

ثم يبيّن سبب تقديم الذكر على الفكر؛ ليبيّن أنّ ذكر الله وحده لا يكفي، وإنّما يعطي ثماره

١ - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج٧، ص٤٤٣.
٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص١٩-٢٠.
٣ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ج٣، ص٤٨.

القيمــة إذا كان مقترنًا بالتفكّر، كما أنّ التفكر بدوره لا يفــضي إلى النتيجة المتوخّاة ما لم يقترن بالتذكر. وإنّ التفكير في أسرار الخلق يعطي للإنســان وعيًا خاصًّا، ويترك في عقله آثارًا عظيمة، وأوّل تلك الآثار، هو الانتباه إلى هدفيَّة الخلق، وعدم العبثيَّة فيه[1].

ويذكر (الشــيخ قراءتي) أهمّ التعاليم المســتفادة من هذه الآية، ومنهــا: ينبغي لأهل الذكر أن يكونوا أهلاً للتعقّل والتدبّر، وأنّ قيمة الإيمان في التفكّر والتدبّر، تكون للذكر قيمة حينما يقترن بالتفكّر، وأن لا ســبيل إلى الكمال إلهيّ إلا بهما، ثمّ إنّ المعرفة الحسّــيَّة بالطبيعة لا تكفي، ما لم تقــترن بالتعقّل والتفكّر، وهما يؤدّيان إلى اليقين بأنّ هنالــك خالقًا لهذا الكون، وأنّ الإيمان والمعرفة يأتيان بعد الفكر والتعقل، ومن ثمراتهما الخوف يوم القيامة[2].

وتتجــلّى أهمّيَّة التفكّر والتدبّر ومركزيّتهــما في حياة الفرد وآخرته فيما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قولــه: «ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر، وفي رواية أخرى: ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها...»[3]. لذا، تعدّ هذه الوظيفة هي الوظيفة الأســاس للعقل، والتي بها يمتاز الإنســان عمّا سواه من المخلوقات.

٣- وظيفة الهداية والاتعاظ:

لعــل المتأمّل في هــذه الوظيفة، يجد أنّها غير قائمــة بذاتها، بل هي نتاج عــن عمليَّة التفكّر والتدبّر، وهذا صحيح، لكنّ التأكيد القرآنيّ على هذه الوظيفة بشــكل جليّ، كانت دافعًا لجعلها مســتقلّة، كقوله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُــنَنٌ فَسِــيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَــةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُــدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٣٨]، يقول (القشــيري) (ت:٤٦٥هـ) في بيان أهميَّة العقل في هذه الآية: «يعنى اعتبروا بمن ســلف، وانظــروا كيف فعلنا بمــن وَالَى وكيف انتقمنا ممن عَادَى، وقوله -تعالى- هــذا بَيَانٌ لِلنَّاسِ: بيان

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ج٣، ص٤٨.
٢ - ينظر: محسن قراءتي: تفسير النور، ج١، ص٦٤٦- ٦٤٧.
٣ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص٨٤.

لقوم من حيث أدلّة العقول، ولآخرين من حيث مكاشفات القلوب، والآخرين من حيث تجلّى الحقّ في الأسرار"[1].

ويبين (الطبرسي) (ت:٥٤٨هـ) محوريَّة العقل في الهداية والاتعاظ، فيقول: "تعرّفوا أخبار المكذّبين وما نزل بهم، لتتّعظوا بذلك، وتنتهوا عن مثل ما فعلوه، ولا تسلكوا في التكذيب والإنكار طريقتهم، فيحلّ بكم من العذاب ما حلّ بهم...وإنّما خصّ المتّقين به، مع كونه بيانًا وهدى وموعظة للناس كافّة؛ لأنّ المتّقين هم المنتفعون به والمهتدون بهداه و المتّعظون بمواعظه"[2]، فالذي يُعمل العقل في القرآن الكريم سيستخلص العبر والدروس، ولا يكرّر أخطاء السابقين، بل يحوّل الماضي إلى خبرة ووعي، وهذا الربط القرآني للعقل بالواقع العملي، ولم يجعله عقل تنظيري مجرد فحسب.

ثالثًا: العلاقة التكامليَّة بين العقل والوحي وفق الرؤية القرآنيَّة:

تعد قضيَّة العلاقة بين العقل والوحي من أبرز القضايا التي شغلت الفكر الإنساني عبر العصور. فقد سعى الإنسان لفهم الكون، والبحث عن حقيقة وجوده، ومحاولة إدراك معنى الحياة منذ فجر الحضارات، فقد ذهب بعض المفكرين والفلاسفة إلى اعتبار العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة، وأنّ أي شيء يخرج عن نطاق العقل لا يعدو كونه وهمًا وخرافةً. بينما رأى آخرون أن للعقل حدًّا وإطارًا لا يتعدّاه، وأنّ هناك بعضَ الحقائق لا يمكنه إدراكها إلا عن طريق مصدر إلهيّ أو وحي، وهو ما يعرف بـ (الوحي)، وحينما نعبّر بـ(الوحي) نقصد به التشريعات، والأحكام، والعقائد ...إلخ الواردة في القرآن الكريم، لا الوحي (الملائكة) أو الإلهام، وغيره من صور الوحي.

فالوحي الإلهي لم يقم بتهميش العقل، أو عدّه نقيضًا له، بل حثّ على تفعيله، والإفادة منه بأقصى ما يمكن بالتدبّر والتفكّر، وهذا ما يجعل من الرؤية القرآنيَّة متفرّدة في عرضها لهذه

١ - عبد الكريم القشيري: لطائف الإشارات، ج١، ص٢٨٠.
٢ - الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان: ج٢، ص٣٩٧.

القضيَّة، فالقرآن لا يرى أن العقل مصدر مستقلّ للمعرفة، بل هو أداة فاعلة، ولا غنى عنها لفهم الوحي وتطبيقه، هو بمثابة الضوء الذي ينير الطريق، ولكن الوحي هو الخريطة التي تحدّد معالم الطريق الصحيح.

ومع أن للعقل أهمّيَّة كبرى في الإسلام، لكن له حدوده ومجالاته، ولا يمكنه أن يحيط ببعض الأمور كالغيب، أو بعض التشريعات.

وتمتاز الرؤية الإسلاميَّة عمّا سواها، بأنّها تقوم على أساس التكامل المعرفيّ بين العقل بوصفه أداة للفهم والتحليل والتفكير، وبين الوحي بتمثيله لمصدر الهداية الإلهيَّة الذي يرفد الإنسان بالمبادئ والقِيَم، التي لا يدركها العقل وحده. وهي، بهذا التكامل المعرفي، تقدّم أنموذجًا فريدًا يرفض التصادم بينهما، أو استقلال أحدهما عن الآخر، بل يؤسّس لعلاقة تكامليَّة بانسجام تامّ.

وقد صرّح بهذا المعنى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بقوله: "يا هشام إن لله على الناس حجّتين: حجة ظاهرة وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة، فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة، فالعقول"[1]. وهذا الحديث يؤسّس للرؤية الإسلاميَّة التكامليَّة بين الوحي والعقل، فالحجّة الباطنة في هذا الحديث تدلّ على الارتباط (الوحيانيّ) الذين يأتون من الله بالتعاليم الإيمانيَّة والغيبيَّة، وهي ممّا لا يحيط بها العقل وحده، والتي أشارت إليه آيات عدّة، منها قوله تعالى ﴿**ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ...**﴾ [البقرة: ٢-٣]. وإنّ «المراد بالإيمان بالغيب في مقابل الإيمان بالوحي والإيقان بالآخرة، هو الإيمان بالله -تعالى-، ليتمّ بذلك الإيمان بالأصول الثلاثة للدين، والقرآن يؤكّد القول على عدم القصر على الحسّ فقط، ويحرص على اتّباع سليم العقل وخالص اللب»[2]، فالعقل وسيلة وأداة للتفكّر في عالم الشهادة والحسّ، أما الوحي فهو الرافد الذي يفيض على إنسان من عالم الغيب، وعلاقة الإنسان بتلك الشؤون.

وقد أوثق القرآن الكريم في آيات كثيرة جدًّا العلاقة بين العقل بما يقوم به من عمليَّة إدراكيَّة وتحليليَّة، والوحي بوصفه مددًا غيبيًّا هاديًا للإنسان ومغذّيًا لروحه وفطرته، من ذلك قوله تعالى:

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص١٦.

٢ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج١، ص٤٦.

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. يقول (الشيخ السبحاني): " والمراد من الأفئدة في الآية - وهي جمع فؤاد - بقرينة لفظتي): السمع (و(البصر) هو العقل البشري على أنّ ذيل الآية المذكورة الذي يتضمّن أمرًا بالشكر، يفيد أنّ على الإنسان أن يستفيد من هذه الأدوات الثلاث؛ لأنّ الشكر يعني صرف كلّ نعمة في موضعها المناسب"[1].

ولا يُفهم من اختصاص العقل بالتفكر والتدبر بان ليس له علة بالدين، فإن أعلى شيء في الدين وهي الأصول او العقائد ترتكز على العقل ويستدل به عليها، كالتوحيد والعدل والنبوة ...الخ،

وإن أي محاولة لفهم النص الإسلامي بغير هذه الرؤية التكامليَّة تفضي إما إلى النزعة العقلانيَّة المجردة، الرافضة للوحي، أو إلى النصّيَّة المتزمّتة، التي تهمل دور العقل ومكانته، وكلاهما يُعدّان خروجًا عن المنهج الإسلامي، ومما صرّح به القرآن الكريم من تكامليَّة العقل والوحي قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ١-٢]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وغيرهما من الآيات الدالّة على أن القرآن الكريم بوصفه وحيًا إلهيًّا نزل ليس للتلاوة فحسب، بل للتدبّر والتفكّر في آياته؛ لأنّ تلك العمليَّة العقليَّة ستؤدي إلى نتائج يهدف إليها منزّل النص القرآني .

لذا نستطيع القول[2] إنّ:

١. العقل والوحي يعتمد عليهما وتستقى منهما العقائد والأحكام.
٢. عصمة الوحي وصدوره عن الله تعالى، أو النبي الأكرم ﷺ بوصفه امتدادًا للتشريع الإلهي، نفيد منه في المجلات كلّها، أما العقل فهو محدود بإطار معرفي خاص.
٣. العقل والوحي يؤيّدان حجيَّة بعضهما، فإذا ثبت بحكم العقل القطعيّ حجيَّة الوحي، فإنّ الوحي بدوره يؤيّد كذلك حجيَّة العقل في مجاله الخاص به.

---

١ - جعفر السبحاني: العقيدة الإسلاميَّة على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ص١٦-١٧.
٢ - جعفر السبحاني: العقيدة الإسلاميَّة على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ص١٦-١٧.

٤. القــرآن الكريــم - في كثير من المواضع - يؤكد على حكم العقل وقضائه، ويســتعين بالعقل لإثبــات مضامين دعوته، وليس ثمّة كتاب ســماوي كالقــرآن الكريم يحترم المعرفة.

٥. أئمّة أهل البيت عليهم السلام أكّدوا على حجيَّة العقل وأحكامه في المجالات التي يحق للعقل الحكم فيها .

٦. العقل والوحي لا يتعارضان؛ لما كان الوحي دليلاً قطعيًّا، وكان العقل مصباحًا منيراً جعله الله في كيان كلّ فرد من أفراد النوع الإنساني، وإن بدا تعارض بَدْويّ -أحيانا- بين هاتين الحجَّتين، فيجب أن يُعلم أنّه ناشئ من أحد أمرين:

أ. إما إن استنباطنا من الدين في ذلك المورد غير صحيح.

ب. وإمــا إن هناك خطأ وقع في مقدّمات البرهــان العقلي- وهو الغالب-؛ لأنّ الله -تعالى- حكيم، وهو لا يدعو الناس إلى طريقين متعارضين مطلقًا.

من هنا، يتّضح أنّ اتباع العقل وحده لا يكفي لهداية الإنسان، أو صناعة فرد واعٍ، وكذا الوحي لنفســه؛ لأنّ العقل هو المفعّل لذلك الوحي على الواقــع والمطبّق له، ومن دونه لا يفهم العقل الوحي على وجهه المراد، بل يعطي نتائج عكســيَّة كما يحدث في بعض الحركات التكفيريَّة أو المتطرّفــة التي أبعدت العقل، واعتمدت على ظاهر النصّ فقــط، دون تفعيل للعقل، وفهم واعٍ للدين.

رابعًا: العقل والوحي وأثرهما في صناعة الوعي:

تتأسّس صناعة الوعي في المنظور الإسلامي على ثنائيَّة بنّاءة بين العقل والوحي. فالأول لما يحمله من إمكانيَّة التفكّر والاستدلال بالكون والأنفس، قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤]. لكنّ العقل لا يمكنه أن يحيط بكثير من الأشياء؛ لمحدوديَّة الإنسان، فاحتاج في ذلك إلى مرشد يُكمل ذلك النقص، ودليل ويرشده إلى ما يعجز عن إدراكه. وهنا جاء دور الوحي بوصفه نصًّا إلهيًّا موجّهًا للإنسان، غير لاغٍ للعقل ولا معطِّلاً له، بل مفعِّلاً لــه وموجّهًــا طاقاته نحو الحقّ، كما قال أمير المؤمنــين عليه السلام: « فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُــلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ

أَنْبياءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُم مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بَالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ"[1].

وهذه الثنائيَّة التكامليَّة، تحقّق للإنسان وعيًا إسلاميًّا متكاملاً لا يفصل فيه الجانب العقليّ عن الجانب الوحيانيّ، وسبيّن البحث بعضًا من أنواع الوعي التي تنتجه تلك الرؤية التكامليَّة:

١. الوعي الحرّ:

يدعو القرآن الكريم إلى وعيٍ إنسانيٍّ حُرٍّ في آيات عدّة، كقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ**﴾ [سبأ: ٤٦].

فهي تأمر، بصورة صريحة وخطوات عمليَّة واضحة، بتأسيس وعيٍ حرٍّ، والوصول إلى الحقيقة بأنفسنا، وأن نتحرّر من تبعيَّة القطيع، بأن نقوم فرادى أو مثنى، وأن يكون التفكير بشكل منفرد ومستقلّ، حتى لا نتأثّر بضغوط المجموعة.

وكذا أمرتنا بأن نتفكّر (ثم تفكّروا)، وهي الأداة الأساس للوعي: ("ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا")، والتعبير بـ (ثم) للدلالة على الترتيب، أي في الخطوة الأولى يكون التحرّر من الضغط الفكري للمجموعة، وبعد ذلك، تأتي الخطوة الثانية، وهي التفكّر والتعقّل والتدبّر، بأن ينظر الإنسان في الأدلّة، ويحلّل المقدّمات، ليصل إلى النتائج بنفسه. وغيرها كثير من الآيات الدالّة على حرّيَّة الوعي والتخلّص من التقليد الأعمى للآباء أو الكبراء، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠]، وغيرهما كثير.

٢. الوعي المتوازن:

إنّ التكامل بين العقل والوحي ينتج وعيًا متوازنًا في الرؤية، ما يجنّب الإنسان من الوقوع في

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١١، ص٦٠.

أحد محذورين:

أ. المادّيَّـة الصرفة: ونقصد بها الاعتماد على العقـل والحواسّ فقط، وإهمال الجانب الروحيّ، والغاية من الخلق، ما يؤدّي الى اختزال الحياة بالجوانب المادّيَّة والتفاعلات الكيميائيَّة والفيزيائيَّة، والتي تفضي في بعض الأحيان الى الإلحاد وإنكار كلّ المعارف الغيبيَّة، والى القول بنسبيَّة القيم الخُلُقيَّة، وإن الخير والشر مفاهيم غير ثابتة، ما يؤدّي الى التفكّك المجتمعي والعبثيَّة.

ب. التصـوّف المنغلق: ونعني به تلك الممارسـات الروحانيَّة التي تهمل العقل، وتلغي دوره في الكشـف عن الواقع والتفكّر في النصوص، والاعتماد على الكشف الذاتي فقط بصفته مصدرًا للمعرفة، ما يفتح الباب أمام الرهبانيَّة التي نهى عنها القرآن الكريم، وعدم وجود معيار موضوعيّ لتمييز الحقائق، وتؤدّي كذلك الى الانطواء على الذات، والهروب من الواقع.

٣. الوعي المتكامل

تذهب أغلب الفلسفات والمذاهب الماديَّة إلى فصل كثير من الثنائيّات بوصفها متضادّة او متقاطعة، بينما يرى الإسلام أنّ تلك الثنائيّات يكامل بعضها بعضًا، فالدين لا يتعارض مع الدنيا أو الدولة، والعقل لا يُفصل عن الوحي، والعلم ينسـجم مع الأخلاق؛ لأنّه يعطي رؤية تكامليَّة بين الوحي والعقل، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فلا فصل بين المناسك العباديَّة والشؤون الحياتيَّة.

٤. الوعي الهادف:

يرسخ الإنسـان المبدأ الغائي في الخلق، وأنّ خلق الإنسان واسـتخلافه في الأرض وإرسال الرسـل لم يكن عبثًا، بل لغايات عُليا، كقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]، وكقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ...**﴾ [الحديد: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ**

﴿فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، فالوحي يرشد العقل للغاية من الخلق، وهدف الإيجاد، وعلى العقل إيجاد سبل تحقيق تلك الغاية والأهداف.

٥. الوعي المسؤول:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وهذه القاعدة الوحيانيَّة تؤكّد على الترابط الوثيق بين الوحي والعقل، فالأول بها يحيل النص إلى التثبت والتيقّن في الاتباع، وألَّا نقتفي أثرًا أو نتّبع شخصًا، أو فكرة دون دليل، فالعلم شرط للاعتقاد والمعرفة.

فالإنسان مسؤول عن الموثوقيَّة في مصادر الوعي والمعلومات (السمع، البصر)، وكذا هو مسؤول عن دقة استعمال (الفؤاد) بوصفه أداة لمعالجة تلك المعارف المُستقاة من مصادر المعرفة.

إنّ التكامل بين الوحي والعقل وفقا للرؤية القرآنيَّة يصنع وعيًا متزنًا، وشموليًّا، وهادفًا، له القدرة على مواجهة التحدّيات المعرفيَّة الراهنة، ومكوّنًا وعيًا حرًّا من سلطة الهوى، والتقليد الأعمى، محقّقًا للهدف الإلهي من خلق الانسان واستخلافه في الأرض.

خامسًا: أثر الحكم الرشيد في حماية الوعي

تعدّ مسألة الوعي من أخطر المسائل المعاصرة، والتي تعمل على تزييفه أنظمة السيطرة العالميَّة -بقواها الماليَّة والإعلاميَّة والثقافيَّة-؛ لأنّ الوعي الحُرّ أخطر ما يهدّد وجودها، فأخذت تعمل على تشكّل وعي زائف يخدم مصالحها، ويحقّق هيمنتها العالميَّة، ما جعل المسؤوليَّة مضاعفة على الحكم الرشيد بتحمّل أعباء حماية الوعي الإنساني الحرّ من غزو الوعي الزائف الذي تصنعه القوى والنخب المسيطرة؛ لتحقّق مصالحها، فيتوهّم الناس بأنّ وعيهم حقيقيّ، بينما هو يضرّ بمصالحهم ويخدم تلك القوى المُهيمنة، والتي تتخذ وسائل عدّة، لتحقيق تلك الأهداف، منها:

١. هدم الثوابت: أي العمل على تفكيك الأسس والثوابت القِيَميَّة التي تشكّل عقيدة الفرد، كالأخلاق، والأسرة، والدين، والتأريخ...إلخ، عن طريق نشر الشبهات والفتن

بـين الأفراد والجماعات والمذاهب، والتركيز على نقاط الافتراق وإن كانت بسـيطة جدًّا، وجعلها محلاًّ لتفكك الأسر والمجتمعات، وبالتالي استلاب الهويَّة، وسهولة الانتماء لتلك القوى التي تصوّر أنّ وعيها حقّ.

٢. استبدال المفاهيم: تضمّ المنظومة الإسـلاميَّة مجموعة من القِيَم والمفاهيم الفرديَّة والاجتماعيَّة، التي تتناغم مـع الفطرة والعقل والوحي، والتي يؤدّي الاعتقاد بها الى خلق وعي إنسـانيّ راسـخ، يحافظ على حدود الأفراد وواجباتهم، ويبيّن حقوقهم. ولإدراك القوى خطورة هذه المفاهيم سارعت لتشويهها، والضخّ الإعلاميّ للتثقيف على إيجاد البديل الموضوعيّ الذي يخدم مصالحهم، فمثلاً تشـويه مفهوم الجهاد وربطه بتيَّارات متطرّفة، جرى دعمها من قِبَلهم إعلاميًّا وماليًّا وعسكريًّا للقيام بعمليات إرهابيَّة، ثمّ ربط تلك الحركات بمسمّى الجهاد، فأخذ الناس ينفرون من هذا التسمية؛ لارتباطه بتلك الحركات المتطرّفة، وأخذ مفهوم (الإرهاب) يحلّ محلّ الجهاد، وغيره من المفاهيم، كالحريَّة الشخصيَّة، وتمكين المرأة، والجنوسة...إلخ.

٣. الثقافـة الغربيَّـة: عملت القوى العالميَّة على التقليل من شـأن العـادات والثقافات العربيَّة والإسـلاميَّة، وربطه بالرجعيَّة والتخلّف، وتصويـر الحياة الغربيَّة بأنها خالية من المساوئ، ويجب على الفرد تقليد تلك الثقافة حتى بأسماء الأطعمة، واللباس، والأثاث، والعادات والكلام...إلخ.

٤. فرّق تسد: أدركت القوى الغربيَّة أنّها لم تتمكّن من خلق وعي مضادّ، والسيطرة على المجتمعات العربيَّة والإسـلاميَّة مـا دام هناك تكاتف واجتماع على مبادئ إنسـانيَّة وإسلاميَّة، والاعتقاد بأنّه (أمَّة واحدة)، فأخذت بخلق النزاعات الطائفيَّة، والمذهبيَّة والكراهيـة، والتقاتـل بين الشـعوب والدول بعد ترسـيم حدودهـم، وبثّ خطاب الكراهيـة، ودعم الجماعـات المتطرّفة، فأخذت الأمة بالتمـزّق، والتفرّق، وأخذت بصناعة عدوٍّ وهميٍّ، وتوجيه الشـعوب نحوه، فأخذت بعض الجماعات تنسلخ من هُويّتهـا، وتنبذ مجتمعاتهـا، وبالتالي وجدت في الغرب ما يشـبع رغباتها بديلاً عن مجتمعاتهم، وعاداتهم، وعدم الاهتمام بشـؤون الأمة، وبالتـالي بدأت تلك القوى

بالسيطرة على الشعوب والدول، وليست القضيَّة الفلسطينيَّة عنا ببعيدة.

وغيرها من الوسائل والأدوات والمناهج التي اتخذتها القوى العالميَّة لخلق وعي زائف في قبال الوعي الإنسانيّ والإسلامي الحقّ.

سادسًا: الحكم الرشيد ومواجهة الوعي الزائف:

بعد أن اتّضحت وسائل القوى العالميَّة المهيمنة وأهدافها لصناعة وعي زائف في قبال الوعي الإسلامي، يلقى على عاتق الحكم الرشيد مواجهة الوعي الزائف، والحفاظ على الوعي الإسلامي.

وعُرّف الحكم الرشيد بأنّه: «الحكم الذي تتسم به مؤسّسات الدولة بالشفافيَّة في تضمين مَهامها وأنشطتها الرئيسة، مثل الانتخابات، والإجراءات القانونيَّة، ويجب أن تتعامل بنزاهة ومسؤوليَّة أمام الشعب...»[1]، وغيرها من التعاريف، لكنّنا يمكن أن نعرّفه وفقا للرؤية الإسلاميَّة بأنّه: إدارة الدولة وفقًا لمبادئ العدل الشورى، بما يحقّق مقاصد الشريعة، ضمن منظومة خُلُقيَّة مستندة إلى الوحي والعقل.

ولكي تحقّق الدولة الإيمانيَّة أهدافها، فهي تقوم بـ:

١. إعلاء شأن الإنسان بوصفه خليفة لله على الأرض، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة: ٣٠].

٢. الالتزام بالعدل والشورى والحريَّة المسؤولة، قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [الشورى: ٣٨].

٣. الحفاظ على القيم الإنسانيَّة وتفعيلها في الواقع، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ...**﴾ [النحل: ٩٠-٩١].

ولمواجهة الوعي الزائف يقوم الحكم الرشيد بالآتي:

---

١ - أولاد زاوي عبد الرحمن وعباس طلال: دور الحكم الرشيد في التنميَّة المستدامة، ص٣.

١. التحصين الفكري: يقوم الحكم الرشيد بترسيخ القِيَم القرآنيَّة، والتربية الإسلاميَّة الأصيلة، في المناهج المعرفيَّة والتربويَّة؛ لتجعل المواطن واعيًا بدينه وهُويّته، مع تنمية التفكير النقدي؛ حتّى يُميّز الوعي الزائف، ويكون عارفًا بأساليبه وطرقه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، فيجب أن يكون الفرد واعيًا بدينه، وعلى بصيرة به، وبالتالي خلق حصانة لدى الفرد المسلم من مزالق القوى العالميَّة.

٢. العدالة الاجتماعيَّة: إن الظلم والفساد الاجتماعيَّيْن والسياسيَّيْن يُعدّ من أسباب وجود الوعي الزائف، الذي يبرّر الاستبداد، فيقوم الحكم الرشيد بمَهمَّة نشر العدالة الاجتماعيَّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقد بيّن أمير المؤمنين عليه السلام ذلك في وصيّته لـ (مالك الأشتر) بقوله: "وأشعِر قلبك الرحمة للرعيَّة، والمحبَّة لهم، واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان؛ إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق..."[1]، فيجب على الدولة أن تراعي حقوق الأفراد كافّة بمختلف توجّهاتهم العقديَّة والسياسيَّة والفقهيَّة، وضمان الحريَّة لهم.

٣. المواجهة الإعلاميَّة: يتّخذ أصحاب الوعي المزيّف أحدث الوسائل والتقنيّات الإعلاميَّة؛ لنشر الوعي المزيّف، ما يستدعي بالحكم الرشيد أن يقوم بالتصدّي لذلك الغزو الثقافي والإعلامي، وبيان مواطن الخلل فيه، وتفكيك أسسه، ويتطلّب كذلك تفعيل دور العلماء والمختصّين، الذين يحيون الوعي الفطريّ، ويبيّنون زيف الوعي المضلّل وأدواته.

٤. ربط الوعي بالبعد الإيماني: إن مما يهدف إليه أصحاب الوعي الزائف، هو فصل الفرد عن إيمانه وأخلاقه حتى يسهل انقياده، والحكم الرشيد يعزّز القيم الإيمانيَّة

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٣، ص٦٠٠.

والخُلُقيَّـة ويربطها بالوعــي؛ ليكون الفرد قادرًا على مواجهة الإغراءات، وقد أشــار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا**﴾ [الأنفال: ٢٩]، فالإيمان والتقوى تفعّلان العقل ليميّز بين الحق والباطل.

هذه المَهام، وغيرها مما لا يســع البحث لذكرها، تقوم بها الدولة الإيمانيَّة أو الحكم الرشــيد لخلق وعي إنســاني حرّ قائم على ربط الجانب الإيماني والوحيــاني، بالعقل، ومواجهة الوعي الزائف.

خاتمة:

بعد هذا العرض، تبيّن الآتي:

١. أن الوعي وفقا للرؤية القرآنيَّة لا يعد إدراكًا ذهنيًّا أو تراكما معرفيًّا فقط، بل هو عمليَّة تكامليَّة بين العقل بوصفه أداة للتفكير والاستدلال، و(الوحي) باعتباره مرجعيَّةً هادية للعقل، وموجّهة له نحو الصواب، لا ينتج أحدهما دون الآخر الغاية المتوخّاة، فالعقل دون الوحــي عرضة للانحراف، والوحي دون العقــل يبقى بعيدًا عن التفعيل والفهم الواعي. لذا، إن صناعة الوعي وفقًا للرؤية الإسلاميَّة قائمة على التكامل بينهما، فينتجا وعيًا نقديًّا حرًّا، يحرّر الإنسان من أسر التقليد والهوى والتضليل.

٢. يقوم (الوعي في الإســلام) على الالتزام الخُلُقي، بينما يرتكز (الوعي المزيّف) على قلب الحقائــق، وإخضاع العقول لهيمنة القوى المســيطرة. لذا، كان على المجتمع المسلم ـ أفرادًا ومؤسسات ـ مسؤوليَّة صيانة هذا الوعي وحمايته من التزييف.

٣. لا تقتــصر وظيفــة (الحكم الرشــيد والدولة الإيمانيَّــة) على إدارة الشــؤون الدنيويَّة فحســب، بل تتجاوزها إلى بناء الوعي المجتمعي الســليم، عن طريق ترســيخ مبدأ الحريَّة المســؤولة والعدل والشورى، وتفعيل البعد الإيماني، ما يفضي إلى تحصين المجتمع على المستوى المعرفي والتربوي. والقدرة على مواجهة موجات التضليل، وكشف آليّات الوعي الزائف.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- محمـد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغـة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- أولاد زاوي، عبد الرحمن وعباس طلال: دور الحكم الرشـيد في التنميَّة المستدامة، الملتقى الدولي الخامس حول الانفاق البيئي بين حاجات التنميَّة المستدامة ومتطلبات الحكم الرشيد، الجزائـر،٢٠١٨م.
- أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشـلي، دار إحياء الـتراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.
- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشاميَّة - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.
- إبراهيـم بن السري الزجاج (ت: ٣١١هـ): معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- جعفر السبحاني: العقيدة الإسلاميَّة على ضوء مدرسة أهل البيت (ع)، تحقيق وتعريب : جعفر الهادي، ط١، ١٤١٩ - ١٩٩٨ م
- ناصر مكارم الشـيرازي: تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، مدرسة الامام علي بن ابي طالب، قم- ايران، ط١، ١٣٧٩هـ ش.
- أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ): تفسـير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: د. محمود محمـدعبـده،دارالكتـب العلميَّـةبـيروت،ط١،١٤١٩هـ.
- محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسـين بقم المشرفة، د.ت.

- أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنام، ط١٤١٥،١ - ١٩٩٥ م.
- أبو جعفر محمد الطوسي (ت:٤٦٠هـ): التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصر العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١٤٠٩،١هـ.
- محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ): التحرير والتنوير [تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد]، الدار التونسيَّة للنشر – تونس، ١٩٨٤ م- ١٤٠٤ هـ.
- أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ): كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- عبد الكريم بن هوازن القشيري: (ت: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب – مصر، ط٣.
- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت:٣٢٩هـ): الكافي، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلاميَّة، تهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.
- محمد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ): بحار الأنوار الجامع لدرر اخبار الأئمة الأطهر، تحقيق: محمد مهدي الخرسان وآخرون، مؤسسة الوفاء، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- محسن قراءتي: تفسير النور، ترجمة: حسين صافي، دار المؤرخ العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- محمد المصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، بيروت – لبنان، ط٣، ٢٠٠٩م.

- محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
- أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله (ت: نحو ٣٩٥هـ): الفروق اللغويَّة، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، لا ط، لا ت.